الظاهر والمضمر في علاقة إعلام النحن بالآخر (رؤية تحليلية نقدية)

The explicit and the implicit in our media in relation to their media (Analytic and critical view)

شادلي عبدالحق*

جامعة د.الطاهر مولاي سعيدة، الجزائر

Chadliabdelhak٣١@gmail.com

تاريخ الاستلام:٢٠٢٣/٠١/٠٢ القبول ٢٠٢٣/٠٨/٣١

النشر ٢٠٢٤/٠١/٢٢

ملخص:

تسلط إشكالية الدراسة الضوء على علاقة إعلام النحن بالآخر، وذلك بالاعتماد على رؤية تحليلية نقدية، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز العلاقة التي تشكّلت بين إعلام النحن والآخر جراء التبعية المعبئة بثنائية الظاهر والمضمر، وقد اعتمد الباحث على منهجية مركّبة في دراسته، إذ أخذ بالأسلوب الوصفي في التطرق إلى أهم النقاط التي تضمنتها الدراسة، كما اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطي التحليلي في مناقشة أهم الموضوعات الواردة في الدراسة، كما خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الآخر سعى من خلال فرض نمطه الإعلامي، هو نتاج تفكيره التوسعي في شتى المجالات ومحاولته فرض أنماطه المجتمعية الهادفة، إلى حصر البشرية جمعاء في بوتقة واحدة تحت طائلة زيف حرية التفكير التي يمثل الإعلام جزءًا منها، واعتبار النحن (في نظر الآخر) الهامش، بالسعي إلى تقليده باستيراد مختلف أشكال المعرفة والتقنيات والوسائل، ودمجها في المجتمعات العربية، وهناك أسباب عدة ظاهرة ومضمرة أدت بوصف إعلام النحن بالدونية، تم التطرق إليها في الدراسة، إضافة إلى التطرق لأهم الحلول الكفيلة لمعالجتها.

الكلمات المفتاحية:

الظاهر–المضمر–الإعلام– النحن–الآخر–المركز–الهامش.

Abstract:

The study's problematique highlights the relationship of informing one another, based on a critical analytical vision, The importance of this research is also to highlight the relationship that has been formed between informing the tenderness and the other due to the dependence packed with apparent bilateralism and compounded in his conscience. and the researcher relied on a methodology study, He took the descriptive method of addressing the most important points of the study. The study also drew on the analytical methodology for discussing the study's most important topics. The study also drew on a series of findings, the most important of which were: The other sought to impose its media pattern, the product of its expansionist thinking in various fields and its attempt to impose its societal patterns aimed at confining all mankind to a single crucible under the pretext of falsifying the freedom of thought, part of which is the media, and

considering the grunt In the other's view, the margin seeks to import all forms of knowledge, techniques and means and integrate them into Arab societies. There are a number of obvious and implicit reasons that led to the presentation of the inferiority media addressed in the study, as well as the most important solutions to address them.

Key words:
the explicit- the implicit- Media- our - their's -the center- the margin

*شادلي عبدالحق

المقدمة:

يقول عبدالله الغذامي:" إن كل أفعال نزع الأقنعة أو الانتقاد أو المعارضة مهددة بأن تقع ضحيّة لما تعترض عليه أو تسعى إلى نقده، ذلك لأن الطرفين، الناقد والمنقود والمعارض والمعترض عليه، يستخدمان الأدوات ذاتها" (الغدامي، ٢٠٠٥، صفحة ٤٣).

تظهر الإشكالات ذات الطبيعة الإعلامية، كلما تقدمت المجتمعات البشرية، وتزداد هذه الظاهرة تعقيدًا كلما أبانت الحركية المجتمعية عن مشكلة إعلامية ما، مما جعل الباحث الإعلامي في عجز دائم عن الإلمام النهائي بهذه الإشكالات، فتوالي الظواهر المجتمعية، واستنادها إلى خلفيات متعددة، يكشف عن تحول كبير تشهده المجتمعات من وقت لآخر، حيث أصبح من الضروري التأكيد على العلاقة الكبيرة التي تشكّلت بين الإعلام والتحولات الاجتماعية الحاصلة باعتبار أن خلفية الظاهر والمضمر في الإعلام، ساهمت وبشكل كبير في خلق هذه التحولات، إذ صار الإعلام يوصف بأنه فاعل رئيسي في تشكيل تفاعلات البنية المجتمعية، التي تعتبر فيها العلاقات بين أفراد المجتمع من بين أهم الركائز الأساسية لتشكيلها.

الإشكالية:

ازدادت التفاعلات الحاصلة في علاقة الإعلام، والبنية المجتمعية قوة مع التطور التقني لوسائل الإعلام، وتنوع الرسائل الإعلامية التي تبثها أو تنشرها، حتى صارت الجماهير منبهرة بالنموذج الاستهلاكي لهذه الرسائل، بتنويع طرق ترويجها وتمريرها، والانفتاح على التعدّد والاختلاف في صياغتها .

ولما كان الآخر (الغرب)، سبَّاقًا في ظهور الإعلام وارتباطه بالتطور التقني الحاصل في بنيته المجتمعية، على غرار فضله في تطوير مختلف الميادين الحياتية الأخرى، فإن هذا السبق المعرفي والتقني في تطور الإعلام قابله اعتباره مركز والبقية هامش.

فنشأ اعتقاد لدى الباحثين والمتخصصين والفاعلين في الميدان الإعلامي أن الآخر المركز يمثل الحقيقة والصواب، ومصدرًا للتأثير والفاعلية ، والنحن (العرب) الهامش يمثل السلبية، ومتأثر دائم بالمركز (الآخر)، فالإيجابية والفاعلية التي يرى الآخر نفسه متصفًا بها تحتّم وبشكل آلي إضفاء السلبية على النحن.

ومن هنا فإن هذه الورقة البحثية ستعالج الإشكالية التالية:

- ما أهم الجوانب الظاهرة والمضمرة في علاقة الإعلام العربي (إعلام النحن) بالإعلام الغربي (إعلام الآخر)؟

التساؤلات:

يتفرع عن السؤال الرئيسي، التساؤلات التالية:

١. ما ملامح تبعية الإعلام العربي (الهامش) للإعلام الغربي (المركز)؟
٢. ما أهم الأسباب التي جعلت من إعلام النحن (الإعلام العربي) يوصف بالدونية والتبعية لإعلام الآخر(الإعلام الغربي)؟
٣. ما السبل الكفيلة بإخراج الإعلام العربي من الدونية والهامش الذي يعيشه؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا البحث في إبراز العلاقة التي تشـــكّلت بين إعلام النحن والآخر جراء التبعية المعبئة بثنائية الظاهر والمضمر، ومساعدة الباحثين في ميدان الإعلام على معرفتها وإيجاد الحلول الكفيلة لتخطيها، ومحاولة إصلاح التالف من بيئتنا الاجتماعية التي أفسد جزءا منها إعلام الآخر بالتواطؤ مع إعلام النحن التابع والمقلد.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث على منهجية مركّبة في دراســـته لإشـــكالية مهمة تتعلق بجانب مهم من جوانب عدم تطور ونهوض الإعلام العربي، بســـبب علاقته وارتباطه بالإعلام الغربي، إذ أخذ بالأســـلوب الوصـــفي في التطرق إلى أهم النقاط التي تضـــمنتها الدراســـة، كما اعتمد الباحث على المنهج الاســـتنباطي التحليلي في مناقشـــة أهم الموضـــوعات الواردة في الدراسة، وفق رؤية تحليلية نقدية، فقد استثمر الكثير من المصادر الورقية والإلكترونية الأقرب في توصيفها للموضوع المعالج .

١- ملامح تبعية الإعلام العربي (الهامش) للإعلام الغربي(المركز):

كثيرا ما رأى الآخر في إعلامه صورة للمثالية المطلقة التي تساعد الحريات الديموقراطية الجديدة على النهوض والتطور إذ جاء في الكلمة الافتتاحية للمدير العام لليونيســـكو فدريكو مايور Federico Mayorفي تقرير المنظمة ســـنة ١٩٩٧: أنه يجب التحقق أن مســـتقبل الديمقراطيات الجديدة ترتكز على تنمية وتعزيز إعلام حر ومســـتقل، لأن وحدها حرية الاتصـــال تســـهل نشـــر المعرفة والقيم، إذ أن أهمية هذا المبدأ في المجتمعات الديمقراطية يقتضي وجود اتصال حر يمكن المواطنين من التعبير والتفاهم، ونتيجة لذلك تجعلهم يعملون على مواجهة الأحداث التي تصنع حياتهم اليومية. (UNISCO, ١٩٩٧, pp. ٣-٤)

إلّا أن الظاهر أن مساعي الآخر من خلال فرض نمطه الإعلامي، هو نتاج تفكيره التوسعي في شتى المجالات ومحاولته فرض أنماطه المجتمعية الهادفة إلى حصـــر البشـــرية جمعاء في بوتقة واحدة تحت طائلة زيف حرية التفكير التي يمثل الإعلام جزء منها، إذ يقول إيبن موجلن Eben Moglen في إحدى محاضـــراته :"إن أجدادنا منذ ألف سنة تقريبا قد قاتلوا من أجل الدفاع عن حرية التفكير، حيث تلقينا خسائر معتبرة من أجل ذلك، واليوم نحن نسعى إلى بناء عقل بشري موحد الذي يجمع الروح البشرية في بوتقة واحدة، وفي لحظة كل إنسان سيكون متصل بشبكة

موحدة وكل مخطط أو حلم أو تفكير، إضافة إلى قَدَر حرية التفكير خاصة وحرية البشرية عامة التي سعينا إلى تحقيقها منذ ألف عام مضت ستكون متصلة بهذه الشبكة". (Moglen, ٢٠١٢)

وبالمقابل عمل الآخر على ترسيخ هذا التفكير في شكل ثقافات في المجتمعات التي يعتبرها تابعة له في شتى الميادين، إذ يعتبر الإعلام ثقافة من بين هذه الثقافات الديناميكية التي تطورت منذ قرون، إذ أن هذه الثقافة (الإعلام) مرتبطة أساسا بالسياسة، العادات والتقاليد، وبالتطور التكنولوجي الحاصل كذلك. (Darbinian, ٢٠٠٢, pp. ٣-٤)

إلّا أن هذا التصور لدعم نشر ثقافة إعلام الآخر شجّع على ترسيخ فكرة الغزو الإعلامي من خلال التدفق الحر للمعلومات، حيث أشار هربرت شيلر في كتابه الاتصال والهيمنة الثقافية إلى:أن الدول الغربية الكبرى عملت وما زالت تعمل على أن يكون لها وسائلها الإعلامية وطرقها الاتصالية المهيمنة التي تسعى من خلالها. (شيلر، ٢٠٠٧، صفحة ١٣)

بالتالي فإن الآخر قد تموقع، وشكّل لنفسه مجالا واسعا للهيمنة، واستخدم هذا التموقع لأغراض التحكم في مجالات مختلفة، فنتج عن ذلك نوعا من المغالطات أثرت سلبا على عقلية النحن، والحالة الذهنية والثقافية التي لازمته، جراء الاعتقاد بأن الآخر نموذجا للفوقية بمختلف أشكالها، واعتبار ما صنعه حضارة – ثقافة — علما– سلوكا بشريا خالصا، يرى محمد مفتاح أن: "صاحب الحالة الذهنية الاشتمالية الهيمنية يجعل نفسه نموذجا أمثل هو مقياس كل شيء وعائد إليه كل شيء، ومتحكم في كل شيء، وبناءً على هذا المعتقد يجهد نفسه ليمحو خصوصية الأفراد، وإذا أصاب هذا المرض الذهني الجماعات والثقافات والحضارات فإنها تصير تعتقد في نفسها أنها المحور و المركز أو الأصل وأن غيرها الهامش، والفرع، ولا وجود للهامش أو الفرع بدون مركز أو أصل" (مفتاح، ٢٠٠٠، صفحة ٣١).

انتقل هذا الإحساس تاريخيا للنحن باعتباره (في نظر الآخر) الهامش، وحاول تبادل المواقع والأدوار مع الآخر باعتباره المركز، بالسعي إلى تقليده باستيراد كافة أشكال المعرفة والتقنيات والوسائل، ودمجها في المجتمعات العربية، وجعلها بذلك حقلا لتجربة أنماط الآخر.

وزاد التمدد الاستعماري السياسي على الأرض وما لازمه من تمدد ثقافي وعلمي وفني، من إلحاق النحن بالآخر، والامتثال والإذعان إلى صور هيمنته ووصمه للنحن بالتخلف والعجز في تحقيق صور التحضر والتقدم إلّا بالإيمان بحق النموذجية المثلى للآخر في تحقيقه لذلك، برؤيته الفوقية أنه وحده بزعمه يمنح حق التحضر والازدهار للنحن.

حيث انسحب هذا الوضع على كافة المجالات وفق مسلمات بأن المرجعية الغربية المنغلقة على ذاتها التي ترى في الآخر، تاريخا ماضيا حاضرا مستقبلا، مصيرًا نهائيًا للبشرية جمعاء على كل الصُعد، علميا، ثقافيا، اجتماعيا، فنيا...،" فما زال الغرب يصف نفسه، بأنّه يعمل على تحضير "المتوحش" واستبدل المصطلح، بمصطلح "التخلف" ، وما زال الانبهار قائما بالنموذج الاستهلاكي الأورو —أمريكي التحديثي". (مناصرة، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣)

والأكيد أن هذا الوصف الذي انجرّ عن هذه الحالة العدائية جعلت الآخر يهمش دور النحن في صناعة الفكر البشري العالمي عبر التاريخ، وما خلّفه من سوء تفاهم،حيث يصف صبري حافظ العلاقة بين العرب والغرب بأنها "جدلية الجذب، والتنافر واستهواء الضد لنقيضه، ورغبته في الاستحواذ عليه، والصراع معه، وأحيانا تدميره" (مناصرة، ٢٠٠٥، صفحة ٢٠)

والإعلام باعتباره مجالا مهما أولى له الآخر أهمية كبيرة، من حيث تطوير مناهجه البحثية، وكذا تطوير وسائله والمضامين الإعلامية التي تبثها أو تنشرها، حيث اعتبرت جميعها من بين أشكال الفوقية التي صنعها الآخر لنفسه، إذ سعى الآخر من خلاله إلى التعريف بنموذجيته الشمولية والتحضرية وانبهار النحن بها، إلى درجة أن إعلام الآخر شهد تمدد لافت للانتباه في بلاد النحن إلى جانب التمدد العلمي والثقافي والفني، بل الإعلام لعب دورا كبيرا في انتشار فكرة مركزية الآخر وهيمنته، وسوّل للنحن أنه قادر على أن يقدم له صورا للتحرر من قيود التخلف، وسبل التحضر والازدهار.

فمن الملاحظ أن مركزية إعلام الآخر، وجدت منبتا لها في بنية إعلام النحن، إذ يحضر المؤثر الإعلامي الغربي بصورة مضخمة ومأسسة في البيئة الإعلامية العربية، وهذا راجع إلى أسباب كثيرة منها ظاهرة وأخرى مضمرة جعلت الهامشية التابعة للنحن تتمازج وتتعالق وتتداخل وتتجسد بصورة حتمية مع مركزية إعلام الآخر .

والواقع الذي يعيشه إعلام النحن يثبت ذلك وعقدة الانبهار بالآخر التي أصبحت تسكن الوعي الإعلامي العربي، وتأثره بتوجهات الخطاب الإعلامي الغربي المعاصر المجسد للهيمنة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

٢– الأسباب الظاهرة والمضمرة لتبعية الإعلام العربي للإعلام الغربي:

إن هذا التأثر بالخطاب الإعلامي الغربي المعاصر الذي جعلت النحن ينظر إلى الآخر نظرة شمولية مغلوطة لا يميّز فيها بين الصائب والزائف، وما أفرزته عقدة الانبهار بإعلام الآخر وطرق معالجته للمضامين الإعلامية وترويجها بشكل تراكمي، لها من الأسباب العديدة التي نذكر منها:

١–الامتداد الإعلامي التاريخي للآخر:

إن المتمعن في الخطاب الإعلامي للآخر يمكن أن يستشف أنه خطاب كولونيالي متجدّر، تراكم عبر التاريخ نتيجة مخلفات استعمارية للبلاد العربية ، وانقسام هذا الخطاب إلى عدة أنواع بينية، مست الإعلام كما مست باقي الميادين الفكرية والأدبية والثقافية والفنية والاجتماعية الأخرى، ويمكن أن نذكر بعضا من هذه الأنواع على سبيل المثال: الخطاب الإعلامي الأنجلوساكسوني، والخطاب الإعلامي الفرونكوفوني.

وسيطرة مثل هذه الخطابات الإعلامية الكولونيالية على الساحة الإعلامية العربية التي ذاقت مرارة الاستعمار فيما مضى، وانغراسها وتجذرها ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، وعقدة الانبهار بها التي لازمت النحن، والدليل على ذلك أنه حتى الآن نجد أن بعض الدول التي كانت تحت الانتداب البريطاني مثلا: تصدر بعض مضامين جرائدها باللغة الإنجليزية، وتبث بعض مضامين قنواتها التلفزيونية بها بنفس اللغة، وهناك بعض الدول الأخرى التي كانت مستعمرة من قبل فرنسا تصدر بها جرائد مضامينها باللغة الفرنسية، وتبث مضامين بعض قنواتها التلفزيونية بنفس اللغة.

وإن كانت وظيفة الإعلام تتمثل في نقله للأخبار والمعلومات المختلفة، إلا أن أهم وظيفة وأخطرها هي الوظيفة اللغوية إما بالتطوير والتحديث، وإيجاد ألفاظ واصطلاحات جديدة وأساليب جديدة، وإما بالنشر والتعليم بترسيخ ألفاظ واصطلاحات وعبارات، وبإقصائها وإخفائها، وإيجاد بدائل لها.فانتشار اللغة وتطورها مرتبط بالإعلام، ومدى اهتمامه باللغة التي يقدم بها برامجه المتنوعة (زيتوني، ٢٠١٣، صفحة ٢١٧٤).

ولعل هذا الدور الخطير لوظيفة اللغة استغله المستعمر كمعول لهدم القيم في المجتمعات العربية، فكانت وسائل الإعلام معول هدم في يد المستعمر المحتل لمقومات المجتمعات العربية، حيث اتخذها وسيلة لفرض لغته، وهذا ما عانت منه الجزائر مثلا إبان الاستعمار الفرنسي (زيتوني، ٢٠١٣، صفحة ٢١٧٤).

هذا ما يوحي استمرار حركة تبادل المضامين الإعلامية بين النحن والآخر في مستويات متعددة وعلى صعد مختلفة، تضمر في طياتها رغبة الآخر لإبقاء إخضاع النحن إعلاميا في أحيان كثيرة ، وتدفعه إلى تقبل قسراً التأثيرات الناجمة عن ذلك "فالإخضاع يكون من طرف، والخضوع والتلذّذ به من الطرف الآخر (مناصرة، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣).

وهذا ظاهر مثلا مع إنشاء وكالات الأنباء العربية الذي كان يفترض أنه جاء تعبيرا عن الرغبة في تقديم إعلام متوازن، يخفف من سيطرة وكالات أنباء الآخر، ويعطي صورة حقيقية عن هذه الدول، ما زالت الوكالات العربية رغم مرور أكثر من أربعة عقود على تأسيس أغلبها، تعتمد بشكل رئيسي على الأخبار التي توزعها وكالات الأنباء الدولية، سواء تعلق الأمر بأخبار الدول المتقدمة أو أخبار أمريكا اللاتينية ودول القارة الإفريقية والآسيوية وحتى بالنسبة لأخبار المنطقة العربية نفسها، فما تنتجه الوكالات العربية لا يشكل سوى ما يقارب ٢٥% من مصادر الأنباء المنشورة في الصحف العربية (الجندي، ٢٠٠٥، صفحة ١٠٠).

ولكي يجسد الآخر هيمنته الإعلامية الكولونيالية، ويرسّخ فكرة المركزية التي تعتبر النحن مجرد هامش وتابع، يقوم إعلاميا بتتبع الشأن المحلي للدول التي كان مستعمرها، ومعالجة القضايا التي تهمها وفتح النقاش حولها، على غرار قناة فرانس٢٤ باللغة العربية التي تعالج قضايا الشأن المحلي لدول المغرب العربي التي كانت مستعمرة من قبل فرنسا.

ورغم ذلك فقد اختلفت الآراء حول توجهات الإعلام الغربي في تناوله للقضايا العربية، وإن كان الكثيرون قد اتفقوا على أن الإعلام الغربي لا هو جنة الديمقراطية، ولا هو شيطان رجيم يتربص بنا الدوائر.المحللون والخبراء وأهل التخصص تباينت آراؤهم واختلفت كلماتهم بشأن التوصيف الدقيق لقضية الإعلام الغربي عندما يتناول شأنا عربيا، بل إن البعض أنحى باللائمة على الإعلام العربي لعدم قدرته في التصدي لهجمات الإعلام الغربي علينا هنا محصلة آراء لمفكرين ومتخصصين عرب حول القضية من كافة جوانبها.

هذا لو أخذنا بعين الاعتبار كذلك الهياكل الإعلامية التحتية من مباني ومقرات إعلامية (مباني التلفزيون، والإذاعات ومقرات الجرائد)، التي صارت بُنى هشة مع الزمن، حيث ما فتِئ النحن أن تعلّق بها، وأبقاها كما هي دون تجديد، أو محاولة إنشاء بُنى إعلامية جديدة ومتطورة تقنيا، إضافة لمخلفات القوانين الإعلامية التي تركها الآخر

المستعمر وورثّها للنحن، واختلافها من بلد عربي لآخر مما شكل عائقا كبيرا في توحيد الصيغ القانونية والتشريعات الإعلامية، وتجديدها بما يخدم صالح الإعلام العربي ويطوره.

٢- التمثيل الإعلامي العربي وارتباطه بالآخر:

من بين أسباب الخضوع الإعلامي للآخر، هو تدخله سياسيا وثقافيا بصورة مقصودة لاختيار ممثليه إعلاميا، وبروز تيار الاندماج الإعلامي في العالم العربي ومناداته بحق تمثيل الآخر إعلاميا بعيدا عن الأصوات المعارضة، وهذا الجانب مرتبط أشدّ الارتباط بامتداد الخطاب الإعلامي الكولونيالي المشار إليه سابقا في هذا البحث، والتمثيل العربي لإعلام الآخر ما هو إلّا جزء من الكل التابع في مختلف الميادين الإبداعية والفنية والثقافية ،" إذ تقوم مراكز الثقافة الأورو-أمريكية في باريس ولندن ونيويورك، باختيار ممثلي ثقافتنا حيث "يغتصبون التمثيل"، وغالبا ما يتم هذا الاختيار بإلغاء الجناح الحداثي الثوري في الثقافة العربية، ويشجّع الغرب كل من يقلّده لا كانفتاح إنساني، بل من منظور تبعي" (مناصرة، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣).

إن هذا التمثيل الإعلامي للآخر في الدول العربية أثّر سلبا في معالجة قضايا البيئة العربية، وفي محاولة إيجاد حلول لعديد المشاكل التي ازدادت تأزما بسبب سوء توجيه هذا التمثيل، بل قام هؤلاء الذين تحملوا على عاتقهم تمثيل إعلام الآخر بالتأثير على الفاعلين في مجال الإعلام العربي، من خلال استيراد المضامين الإعلامية الغربية، واعتماد سياسات إعلامية متحيزة بشكل لافت للمنظور الإعلامي الغربي، من حيث صياغة المضامين الإعلامية، جعلت الإعلام العربي يوصف أنه:

أولا: أنه إعلام متحيز، فهو إعلام لا يعتمد على الحقائق المجردة و ينجح إلى الدعاية لمذهب سياسي أو خط معين عن طريق التلفيق والتزوير، ومثل هذا الإعلام سرعان ما يفقد ثقة الجماهير، وحتى إذا تضمن الحقائق فإن الجماهير تنظر إليها بعين الريبة والشك والحذر.

ثانيا: أنه إعلام قاصر فهو إعلام يعتمد على الحقائق المجردة، و لكنه يفشل في تحقيق التأثير المطلوب بتلك الحقائق لدى الجمهور، وغالبا ما يرجع ذلك إلى خطأ الأسلوب الإعلامي المستخدم.

إن الآخر كان ذكيا في استغلاله لمسألة اختيار ممثليه عربيا في المجال الإعلامي، وذلك ليؤكد عامل الخضوع لمركزيته إعلاميا، فلا هو قدم للنحن سبل التغيير والتجديد الإعلامي وفق متغيرات البيئة العربية، ولا هو تركه لكي يبحث عن هذه السبل، مما جعل الإعلام العربي يوصف دائما بالدونية والتبعية والهامش والخضوع لإعلام الآخر المركز.

٣- إستيراد المضامين الإعلامية من الآخر:

هذا السبب مرتبط أشد الارتباط بالسبب الذي قبله (تمثيل الإعلام العربي للآخر)، ويعد مقارنة بالأسباب المذكورة من بين أخطرها تجسيدا لفكرة الخضوع والإتباع الإعلامي للآخر، فقد شهدت حركة انتقال المضامين

الإعلامية نشاطا استهلاكيا غير مسبوق من قبل المجتمعات العربية في السنوات القليلة الماضية، والسعي الحثيث لاستقطابها وجلبها بصورة أقل ما يقال عنها أنها هستيرية، مفعمة بمشاعر مشحونة مزيفة غيرت من نمط المجتمعات العربية المحافظة.

والملاحظ بروز ظاهرة جديدة في بعض القنوات الفضائية العربية الخاصة مثلا، تتمثل بظهور ما يسمى (تلفزيون الواقع) الذي يعرض نسخ معربة من برامج أمريكية و أوربية، تقوم فكرتها على جمع عدد من الفتيان و الفتيات في بيوت، للعيش سويا، ضمن ظروف محددة ، أمام كاميرات تلفزيون، تثبت في غرف هذه البيوت ليعيشوا حياة طبيعية ، مثل برنامج(ستار أكاديمي) و(على الهوا سوا) و (الرئيس)، أو برامج لمعرفة مواهب الشباب في الموسيقى و الغناء، مثل برنامج (ذا فويز–أحلى صوت) و (عرب أيدول– محبوب العرب) و (أكس فاكتر) وغيرها، وكلها برامج تتسابق على إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب. (الشجيري، ٢٠١٤، الصفحات ٨٠–٨١)

حيث نجحت هذه المضامين الإعلامية في اختراق منظومة القيم الثقافية للدول العربية من خلال تلفزيون الواقع وإنتاج الأفلام والمسلسلات (الشجيري، ٢٠١٤، صفحة ٨٢)، واحتكر الآخر مولدات هذه المضامين، وسعى إلى نشرها في كافة القنوات التلفزيونية العربية والحديث عنها وتبجيلها في وسائل الإعلام الأخرى، وبالتالي أصبحت مضامين الإعلام العربي مهجنة لا تحتكم إلى قواعد، خصوصا بعد الانفتاح وخوصصة وسائل الإعلام العربية، وعدم وجود معايير ثابتة لتحديد الشروط الواجبة في ملّاكها، وما فرض على الجماهير من مضامين إعلامية مستوردة وما لاقته من إقبال من طرفهم .

إلى ذلك تفيد الدراسات التي أجريت على واقع التدفق الإعلامي الخارجي أن الإنتاج المستورد يغطي حوالي ٦٠% مما تبثه وسائل الإعلام العربية، ويأتي في مقدمته الإنتاج الأمريكي، ويشكل الإنتاج الأجنبي أكثر من ٥٠–٧٠% مما تعرضه قنوات التلفزة الأرضية ، إضافة إلى وجود قنوات مخصصة لبث البرامج والمسلسلات والأفلام الأجنبية فقط، أما الفضائيات العربية عام ١٩٩٩ فقد كانت تبث مجتمعة حوالي ٨٥٠٠ ساعة سنويا، لا تنتج منها إلا حوالي ٣٥٠٠ ساعة، ويضاف إلى كل هذا التدفق الأجنبي فيضا من أشرطة الفيديو والكاسيت والكتب والمجلات والأقراص المدمجة، كما أن ارتباط الإعلام العربي بالفضاء والانترنت، أتاح تدفق قنوات البث الأجنبي. (الجندي، ٢٠٠٥، الصفحات ١٠٠–١٠١)

إن هذه المحاكاة للمضامين الإعلامية المستوردة من إعلام الآخر أثبتت وبشكل صارخ دونية إعلام النحن، وخضوعه للآخر وتجسيدا واضحا للهامشية التي وصف بها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل جُعلت هذه المضامين معاول لهدم القيم والهوية العربية، وما يوصف به الإعلام الغربي أنه ينقل للنحن رسائل ومضامين التحضر ظاهرا، ما هو في باطنه إلّا إنتاج وإعادة إنتاج التخلف في البلدان العربية.

فقد جعل الآخر من التدفق الإعلامي الموجه للنحن، سوقًا مفتوحة على مصراعيها تشبه السوق التجارية، وبلا شك سوف ينحاز هذا التدفق في النهاية لصالحه لأن له الموارد الكافية لإغراق هذا السوق بسلعه من المضامين

الإعلامية التي لاقت رواجا كبيرا، ولكن تبقى هذه المضامين منتجات سيئة تشبه خردة لا قيمة لها (زائفة) في السوق التجارية. (أ.سموللا، ١٩٩٥، صفحة ١٩)

من خلال صور الهيمنة الإعلامية للآخر المسكوت عنها والمذكورة في هذا البحث، يتضح أن النحن قد تعامل مع المضامين الإعلامية للآخر بصفتها صيغا للنموذج الاستهلاكي المثالي، ينبغي فرضه وتطبيقه على البيئة العربية، والنظر له على أنه نموذج متعالي يمكن احتذاؤه وتقليده.

وبالمقابل أثبتت فوقية الآخر ومركزيته وهيمنته الإعلامية وسطوته على النحن، وما انجرّ عنها من تهميش القيم الروحية والأخلاقية التي تمثل أساس التحضر الحقيقي للمجتمع العربي الذي صنع تاريخا وحضارة وعلما فيما مضى، حيث كان النحن مركز والآخر هامش، ليتأكد الكلام في منظومة "وستنبلك" التي طرحها منذ عام ١٨٩٤في كتابه فصول من مبادئ القانون الدولي، والتي تقول :" إن أقاليم الأرض المدعوة غير متحضرة ينبغي أن تُلحق أو تُحتل" (الجندي، ٢٠٠٥، صفحة ١٢)، وهذا ما نلمحه جليا في المنظور الإعلامي العربي الذي أصبح مُلحق وتابع لإعلام الآخر.

إن هذه الحقائق المذكورة لا تمثل تهجما عن الآخر، بقدر ما هي حقائق تتعلق بالدعوة إلى تدارك مصير الهوية العربية التي بدأت حصونها تتداعى وتقع وتستسلم للتنميط العام الظاهر والمضمر في إعلام الآخر،"حيث تكشف المفارقات على أن الآخر يخاطب شعبه بلغة التميّز والذكاء والتحرر والسبق لكل الأمم، وينعت غيره من الشعوب وعلى رأسها المسلمة بالأمية والتخلف والرجعية. ويستعين في ذلك بالمثقفين والمتعلمين لبث الأفكار المضللة بخلفية مضللة، حين يجعل النقد حقًا وواجبًا، ونزع القيود والأغلال في بسط الرؤى المختلفة بين المتناظرين من سمات الحرية في الرأي والارتقاء في فكر الإنسانية والبشر. لكنه يوظفها في الأخير لإعادة صوغ العقليات والمفاهيم وطرائق التحليل والنظر للأشياء بشكل يبعد عن العدالة والأنصاف وإن كان يلبس لبوسها".

ومما جعل الإعلام العربي عاجزا عن لعب الدور الذي يلعبه إعلام الآخر كذلك، التحرر من قيود إعلام الآخر، وعقدة الخضوع التي لازمته، هو أنه يتصف بمجموعة من السمات الأخرى التي تجعله غير مقبول لدى المتلقي الغربي ومن هذه السمات أنه إعلام سلطة لا إعلام مؤسسات وأنه إعلام يعاني من ضعف التقنية ويركز على الدعاية ولا يمتلك القدرة على الإقناع والتأثير.جعلت هي الأخرى إعلام الآخر يلقى قبولا مميزا عند العرب، وعقدة الانبهار التي لا زالت تلازمهم جراء ذلك ، مما أدى إلى تموضع الإعلام العربي في هامش إيديولوجيا التبعية والخضوع .

٣- الحلول الكفيلة بإخراج الإعلام العربي من التبعية والخضوع للإعلام الغربي:

أمام هذا الوضع المضطرب الذي يعيشه الإعلام العربي في علاقته بالآخر ، والأسباب التي أدت إلى وصفه بالدونية و الخضوع ، يجب علينا البحث عن سبل جادة لإخراجه من هذا الوضع المتأزم ، وذلك بإيجاد حلول كفيلة لذلك نذكر منها:

١- العمل على إيجاد آليات فاعلة للنقد:

يعتبر النقد الموضـــوعي أداة مهمة لتتبع مواطن عجز الإعلام العربي على تخطي هيمنة الآخر ومركزيته، و البحث عن سبل كفيلة لفضح المسكوت عنه في علاقة إعلام النحن بإعلام الآخر، وذلك بإيجاد أطر معرفية تسعى إلى معالجة التالف من هذه العلاقة ، وتخطي الدونية الفكرية أولا التي رسخت هشاشة الإعلام العربي وجموده .

ولا يمكن تجسيد مثل هذا النقد إلا بتوفر أدوات منهجية وبحثية رصينة، تبتعد عن النتائج الجاهزة، إلى البحث عن عمق علاقة إعلام النحن بالآخر، وكذلك تجنيد ثلة من الباحثين في ميدان الإعلام لإخضاع الإشكالات المترتبة عن الأبعاد الظاهرة والمضـــمرة لهذه العلاقة، ومحاولة إيجاد حلول دقيقة لها، وتقديمها للفاعلين الإعلاميين للاســتفادة منها.

حيث يجدر بنا أولا الاعتراف بوجود اختلاف كطبيعة حتمية بين الإعلام العربي والإعلام الغربي، ومن ثم تتبع مواضع الضعف والقوة، والتأثير والتأثر، والعمل على إيجاد إستراتيجية نقدية الغاية منها الحفاظ على مكتسباتنا العربية الأصيلة.

٢- العمل على تجسيد التكامل الإعلامي العربي:

إن التكامل العربي في مختلف الميادين كان ولا يزال أمال الشـعوب العربية، ولا يمكن أن ننكر الجهود الكبيرة التي بدلت لتحقيقه، ونحن بحاجة إليه الآن أكثر من ما مضـى وهذا إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف العصـيبة التي تمر بها الدول العربية الآن، ونحن نحتاج إليه في ميدان الإعلام أكثر وذلك للتصدي للمد الإعلامي الغربي .

خصوصا المضامين الإعلامية المستوردة التي أثرت وبشكل ملحوظ على البيئة الاجتماعية والثقافية العربية، و أصـبحت تهدد هويتنا وتقاليدنا وعاداتنا، وبالمقابل يجب في إطار هذا التكامل توحيد السـياسـة الإعلامية العربية، والعمل على إنشـاء مجلس إعلامي عربي يشـمل هيئات بحثية عربية وكوادر وكفاءات إعلامية الغرض منها إصـلاح المنظومة الإعلامية العربية وإخراجها من الدونية التي لا زالت توصـف بها، وكذلك السـعي على توحيد التشـريعات القانونية بما يخدم هذه السياسة، لكي يتسنى الوقوف أمام الغزو الإعلامي الغربي.

٣- التخلي عن الخطاب الإعلامي الكولونيالي المتجدّر:

لقد تم التأكيد في هذه الدراســة على أن الخطاب الإعلامي الكولونيالي المتجدّر كان ســببا قويا في وصــم الإعلام العربي بالخضــوع والتبعية، ومن الصــعب محو آثاره بســهولة، وذلك لو أخذنا بعين الاعتبار الســنوات التي قضــتها المجتمعات العربية في كنف الاســتعمار، لذلك يجب العمل على المدى البعيد لاقتلاع جذور هذا الخطاب لكي يتمكن القائمين على الإعلام العربي النهوض به ويضمنون تقدمه وازدهاره.

كما يجب الأخذ بعين الاعتبار تطوير الهياكل القاعدية الإعلامية من مبانٍ وتقنيات، وهنا لا بأس من الاستفادة من خبرة الآخر في تطويرها ولما لا إنشائها بما يتوافق مع متطلبات الإعلام المعاصر، والاستفادة كذلك من

بعض التجارب الإعلامية الدول الغربية ليس من حيث التقليد والإتباع، ولكن من حيث السياسة الإعلامية الرشيدة المتبعة لتثقيف الفرد والنهوض به.

ولا يخفى علينا كذلك في هذا الإطار السعي إلى صناعة إعلام مؤسسي بعيد عن التوجهات السياسية و الاقتصادية، لكي يقدم مضامين جادة وهادفة لفائدة الجماهير العربية، التي تتميز بالنضوج الفكري والثقافي إن تم تربيتها تربية إعلامية هادفة.

٤- العمل على تجسيد تمثيل إعلامي خالص:

إن السعي إلى تجسيد تمثيل إعلامي عربي خالص، من شأنه أن يتدارك الشيء الكثير بالنسبة للإعلام العربي، خصوصا في تقوية الإحساس بالانتماء للهوية العربية والمحافظة عليها والدفاع على مقوماتها إعلامية، ويمكن أن يتحقق ذلك بإنشاء مراكز للتدريب المهني الإعلامي العربي، بمساعدة كوادر متخصصة والعمل الجاد على التأهيل العلمي والعملي بما يتوافق مع متطلبات البيئة العربية.

إن هذا الجانب يمكن أن يقف كسد منيع أمام المضامين الإعلامية الغربية، وأن يساعد بشكل كبير في تطوير والنهوض بالإعلام العربي، ولكن يجب بالمقابل أن يتخلى الصفوة والفاعلين عن الإعلام العربي عن وصف الإعلام العربي بمختلف أشكاله(البحثية-التقنية-المؤسساتية-المهنية)، أنه لا زال في تجربة فتية لأن هذا الوصف بالذات يعتبر عائقا أمام النهوض به، وإبقائه دائما تابع وملحق لإعلام الآخر.

الخاتمة:

لئن كان الإعلام العربي، يعيش تبعية للإعلام الغربي، جعلت منه يوصف بالدونية والهامش، وإعلام الآخر بالقوة ولمركز، كان لزاما علينا معرفة أهداف هذه التبعية، وغاياتها الكبرى، والخلفيات الكامنة وراءها، لذلك فإنً الباحثين في علوم الإعلام والاتصال، والقائمين على الإعلام العربي مدعوون اليوم إلى الانخراط في نقاش حقيقي حول مستقبل السياسات الإعلامية العربية، واستشراف أهم الجوانب إضافة إلى ما ذكر في هذه الدراسة، التي يمكن أن تطور هذه السياسات لمواجهة المد الإعلامي الغربي، يلزمنا التساؤل عن الكيفية التي يمكن أن نصل بها إلى تحقيق ذلك.

ولقد خلص الباحث إلى النتائج الآتية نذكرها:

١- سعى الآخر من خلال فرض نمطه الإعلامي، هو نتاج تفكيره التوسعي في شتى المجالات ومحاولته فرض أنماطه المجتمعية الهادفة إلى حصر البشرية جمعاء في بوتقة واحدة تحت طائلة زيف حرية التفكير التي يمثل الإعلام جزء منها.

٢- اعتبار النحن (في نظر الآخر) الهامش، ومحاولة تبادل المواقع والأدوار مع الآخر باعتباره المركز، بالسعي إلى تقليده باستيراد مختلف أشكال المعرفة والتقنيات والوسائل، ودمجها في المجتمعات العربية، وجعلها بذلك حقلا لتجربة أنماط الآخر.

٣- سعى الآخر من خلاله إلى التعريف بنموذجيته الشمولية والتحضرية وانبهار النحن بها، إلى درجة أن إعلام الآخر شهد تمدد لافت للانتباه في بلاد النحن إلى جانب التمدد العلمي والثقافي والفني.

٤- يعد الامتداد الإعلامي التاريخي للآخر، والتمثيل الإعلامي العربي وارتباطه به، إضافة إلى استيراد المضامين الإعلامية، من أهم الأسباب الظاهرة والمضمرة التي جعلت من الإعلام النحن، يوصف بالدونية والتبعية لإعلام الآخر.

٥- أمام الوضع المضطرب الذي يعيشه الإعلام العربي في علاقته بالآخر، والأسباب التي أدت إلى وصفه بالدونية والخضوع، يجب البحث عن سبل جادة لإخراجه من هذا الوضع المتأزم، وذلك بإيجاد حلول أهمها: العمل على إيجاد آليات فاعلة للنقد، وكذلك العمل على تجسيد التكامل الإعلامي العربي، إضافة إلى ضرورة التخلي عن الخطاب الإعلامي الكولونيالي المتجدّر، والعمل على تجسيد تمثيل إعلامي خالص.

قائمة المصادر والمراجع:

١- قائمة المراجع باللغة العربية:

١. أحمد مفتاح، مشكاة المفاهيم (النقد المعرفي والمثاقفة) ،ط١، المركز الثقافي العربي،٢٠٠٠.
٢. تهامة الجندي، الإعلام العربي (قلق الهوية —وحوار الثقافات دراسة في إعلام المنطقة العربية)، نينوى للدراسات والنشر، دمشق،٢٠٠٥
٣. رودني أ.سموللا،حرية التعبير في مجتمع مفتوح، ترجمة:كمال عبدالرؤوف، ط١، الجمعية المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، القاهرة، ١٩٩٥
٤. سهام الشجيري، اقتصاديات الإعلام، ط١، دار الكتاب الجامعي، العين-الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠١٤
٥. عبدالله الغذامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط٤،المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء،٢٠٠٥.
٦. عزالدين مناصرة، النقد الثقافي المقارن (منظور جدلي تفكيكي)، ط١، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٥ .
٧. نصيرة زيتوني، واقع اللغة العربية في الجزائر، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢٧، ٢٠١٣.
٨. هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمة: وجيه سمعان،الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٧.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

١. **Alice Darbinian et autres , La culture des médias ,Formation OIPP/INALCO ٢٠٠٢-٢٠٠٣**
٢. **Eben Moglen, Sans medias libres, pas de liberté de pensée-conférence à Re :Publica ,٢٠١٢**
٣. **Rapport mondial sur la communication (les médias face aux défis de nouvelles technologie) , UNISCO ,١٩٩٧ .**